

حوادث دمشق اليومية

(١١٥٤ - ١١٧٥ هـ ، ١٧٤١ - ١٧٦٢ م)

جمعها : الشيخ أحمد البديري الحلاق

تقحها : الشيخ محمد سعيد القاسمي

وقف على تحقيقها ونشرها : الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ،

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة دمشق

[مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٥٩] .

في المكتبة الظاهرية في دمشق مخطوط كتبه الشيخ أحمد البديري الحلاق بين سنتي ١١٥٤ - ١١٧٥ هـ الموافقة لـ ١٧٤١ - ١٧٦٢ م شرح فيه حوادث دمشق اليومية في تلك الفترة شرحا عفويا صادقا « لقد كان البديري منفصلا مع أحداث زمانه فأخذ يسجل ما شاهد وما سمع يوما بعد يوم ، دفعه إلى هذا هواية الكتابة ، والتعبير عن مشاعره . والتنفيس عن كامن عواطفه . لقد سجل لنا رأيه في الناس وفي الحكام وفي الحوادث ، ووصف لنا الحياة بجميع مظاهرها وصفا دقيقا بارعا حتى نكاد نحس أننا نعيش معه في تلك الفترة من القرن الثامن عشر ، نحيط بجميع جوانب الحياة وننفعل معها كما انفعل كاتبها بها .

لم يكن البديري عالما « ولا متعلما » إلى درجة أنه يستطيع أن يكتب بلغة سليمة لكنه كان على جانب من ثقافة عملية شعبية يدرك ما يحيط به ، ويستطيع التعبير عن خلجات قلبه بأسلوب عامي لطيف ، وبشعر شعبي هو الزجل والواليا . فأتى كتابه صورة حية عن حياة دمشق في فترة من فترات التاريخ المجهول ليس فيها صنعة ولا تزويق ولا تزوير ، لأنه كتبه لنفسه ولم يكتبه لأمر أو وزير ... لذا كان كتابه مرآة تنعكس لنا أحداث عصره ، ووثيقة تاريخية شعبية ، ومصدرا جيدا يصف لنا

الحياة الاجتماعية بتفاصيلها والحياة الاقتصادية برخائها وشدتها والنظام الإداري والعسكري بعسفه وفساده .

لم يصلنا كتاب البديري كما كتبه تماما بل وقع في يد عالم من دمشق في القرن التاسع عشر هو المرحوم الشيخ محمد سعيد القاسمي - جد أسرة القاسمي الدمشقية الفاضلة - فنسخه لنفسه وبدا له أن ينقحه ويهذه ويحذف منه بعض الألفاظ الحوشية العامة والأشعار الزجلية والأدعية الصوفية الطويلة ... لكن الذي وقع هو أن نسخة البديري الأصلية التي كانت في حوزة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري قد فقدت تماما ، وبقيت لنا النسخة النقيحة ، وهي محفوظة في مكتبة أسرة القاسمي العاصرة ، وقد نسخ عنها نسختان موجودتان في المكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة أخرى في المكتبة التيمورية في القاهرة . وعلى نسخة المكتبة الظاهرية اعتمد العالم المحقق الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، طابقتها مع النسخة التيمورية وراجع النقاط الهامة في نسخة الأسرة القاسمية .

لقد أدي الدكتور عبد الكريم خدمة جلي للعلم والمعلمين وللأمة العربية وخاصة الإقليم السوري بهذا الجهد الطيب الذي بذله في تحقيق الكتاب . ولقد أتى تحقيقه دقيقا وافيا يستند على أمتن القواعد العلمية وإليك الخطوات الهامة في هذا التحقيق :

١ - المقدمة : يعتبر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بحق من أقدر المختصين بتاريخ العرب الحديث لذا كانت المقدمة المؤلفة من ٦٠ صفحة من أحسن ما كتب عن تاريخ دمشق في العهد العثماني بشكل مختصر ، فلقد أخذ مادتها من كتاب البديري نفسه ومن الكتب المعاصرة أو القريبة من العصر المبحوث ككتاب العجمي (خلاصه الأثر ...) وكتاب المرادي (سلك الدرر ...) والقار والقاري والغزي والجبرتي والأمير حيدر الشهابي والقرآلي ... ومن كتب الرحالة الأجنبية كقولني وبورخارت وبرتون وأخيرا « تريس الذي يعتبر كتابه عن الحج أحسن مرجع له » .

لقد بين لنا المحقق في المقدمة أهمية البحث عن المصادر الأصيلة والكشف عنها وصنف لنا هذه المصادر على نوعين :

- أ - الوثائق الرسمية وهي بحاجة إلى حملة عظيمة تقوم بها الدولة ورجال العلم .
- ب - الوثائق الأهلية (على حد تعبيره الموفق) وهي من أمثال كتاب البديري التي تصف الحياة من الداخل .

لقد استنبط المحقق حياة البديري من كتابه وأوضح لنا مهنته وبيئته ومستواه الثقافي والديني والماضي كما ذكر لنا لمحة عن حياة المنقح الشيخ محمد سعيد القاسمي ومستواه العلمي والديني ولم يغفل ذكر الأسرة القاسمية والناهين فيها .

ثم حلل المحقق كتاب البديري تحليلاً رائعاً وصنفه بحسب مواضيعه الهامة وكتبه بأسلوب علمي دقيق مستشهداً على كل نقطة بما ذكره المؤرخون العرب القريبون من عصره والمحدثون والأجانب المعاصرون والحديثون .

لقد دلت كتابة هذه المقدمة على سعة اطلاع الأستاذ المحقق القدير في هذا الموضوع ، وعرضت المواد التي يحويها كتاب البديري عرضاً موافقاً للطريقة العلمية بحيث يستطيع الباحث أن يحيط بالمعلومات التي نردها البديري متفرقة ومضطربة هنا وهناك ، وأن ينتفع بها .

٢ - تحقيق الكتاب : في كل نسخة من النسخ المنقحة التي ذكرناها سابقاً لا تأتي دائماً الجمل والكلمات متطابقة ، ويعود هذا بلا شك إلى عمل النساخين ، ولقد استطاع المحقق من المطابقة والمراجعة أن يصل إلى أفضل حل وأقربه إلى قصد الكاتب والمنقح . ولقد ذكر في الحواشي اللتبس من هذه المطابقات كما شرح فيها رأى البديري ومقصده وبين أحيانا خطأ البديري في ذكر حادثة مستدلاً بذلك من قول البديري نفسه ومن أقوال معاصريه واستطاع أيضاً أن يصحح - اعتماداً على البديري - ما ورد في الكتب الأخرى العربية منها والأجنبية لاعتقاده أن البديري كان أصدق في تصوير الحادثة وإيرادها

٣ - الفهارس : : ذيل الكتاب بفهرس جامع للأعلام الواردة في الكتاب وفهرس الأماكن والبلاد وفهرس للمصطلحات والوظائف . وهذه الفهارس بلا شك من أنفع ما يمكن أن يسديه محقق إلى جمهور الباحثين .

٤ - الفهرس المفصل لمواضيع الكتاب : لقد وضع العالم المحقق فهرسا مفصلا لمواضيع الكتاب في النهاية يعين الباحث في الحصول على غايته من الكتاب . وإن بهذا الفهرس مع المقدمة عمل هام جدا يخدم موضوع الكتاب ويجعله سهل التناول .

٥ - أرفق الكتاب بمخططين لمدينة دمشق ، تقلا عن العالم الفرنسي سوفاجه ، أحدهما دمشق في القرن ١٦ ، والآخر دمشق في القرن ١٩ وعليهما صور توضح تطور المدينة القديمة .

يقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم في مقدمته : « نرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع الذي نتقدم به اليوم لجلاء جانب من تاريخ سورية في القرن الثامن عشر مقدمة لهذه الحملة التي تدعوا إليها (أى الحملة لجمع الوثائق الرسمية والأهلية المتعلقة بالتاريخ السوري في العصر العثماني) ، ولبنة في البناء التاريخي الذي ندعو لإقامته » .

وقد أهدى الأستاذ المحقق هذا الجهد إلى البلد الطيب الذي أحبه وعاش فيه ثلاث سنوات يدرس فيها بجامعة دمشق ، وإلى الأجيال التي ستصنع الوحدة العربية بجميع مفاهيمها .

شكرا للأستاذ العالم المحقق على ما أسداه لهذا البلد ولجميع البلاد العربية من خدمة جلي ولما يقدمه إلى العالم والإنسانية من عمل طيب يفوح منه الإخلاص والإيمان بالقضية العربية .

محمد أبو الفرج العشي

محافظ متخف دمشق